

صياغة شذوية للمدرسة العربية في التحليل النفسي (1-2-3)

(مقالات علمية شريفة ومجتمعة)

د. علي زيمور - علم النفس / التحليل النفسي - لبنان

aly.zayour@gmail.com

نبتج أو نرتاح لمشهد قتل أحد لأننا نكون في اللاوعي أو المكبوتات والغوريات، نعيش أو نكر "تجربة"، بل وهم - وليس فقط هومات - قتل الأب في نفوسنا.

4 - تقدّر عالياً ثميناً المدرسة العربية في التحليل النفسي وترفع عالياً أبطالاً مؤسسين؛ من بينهم: مصطفى زيور [= زيوار؛ زيور]؛ مصطفى صفوان؛ حسين عبد القادر محمد (وحوله جماعة من الزملاء التقية في جامعة القاهرة؛ إثر مناقشة أطروحة دكتوراه)؛ سامي علي... ومن الجامعة اللبنانية يندلع اسم عدنان حبّ الله... ويستدعى إلى ساحة هؤلاء الأبطال المحلّة رجاء بن سلامة.

5 - حالة فقدان الأم؛ قال: ماتت أمي في 4 أيلول، سنة 1969؛ كانت التجربة أساسية، وطعنة بامتياز. كانت "كسرة خاطر" اقتحمت كل نقطة في العمر؛ وألقت بحمها المرعبة في كل جانب أو طرف، ثم من كل زاوية وعند كل صعيد... وكانت تلك "الوضعية الفصويّة" (= القصويّة) قاتلة لكل حيوية، وشديدة القسوة؛ ونقلت إلى أوضاع تسفيلية ضاغطة تقهر وتجرح، تكبل وتبعد، تحيل إلى المعتم والمؤلم، تُدكر بأنّ الإنسان سيموت، ويعيش تحت سيف مسلّط وكمشروع جثة... الموت يُعيد الطائر إلى الأسفل والمظلم، العجز واليأس، الانفعال والذبول، الانكماش وتوقع الزوال والاندثار...

تستدعي، للدفاع والتدريج الظرفي المفعول والزمن، فكرنة الحداد والقدان، بلسمه الخسارة، والنظر من الأحران والمساوي أو المؤلم كالمرض والجوع والمظلومية.

6 - كيف يتصرف الفرد، امرأة كان أم رجلاً وطفلاً أو عجوزاً، داخل الحشد، بين الجموع. هنا موضوعة تنطوي على ظواهر أو فعاليات دراستها تكون نافعة من أجل التفسير، ومن ثم التغيير في السلوك والعقلية، الرأي الفردي داخل الرأي العام، التوجيه الواعي واللاوعي لتوجهات ووجهات النظر والفهم والمحكمة عند الفرد، وفي الحلقات المجتمعية، وفي التفكير والصحافة، وحتى في الإعلان والتواصلية.

7 - القراءة النفسية العيادية، كما القراءة التحليلية النفسية، للفلسفة والفكر العالمي والعالم النظري والأنساق، لا تعادي القراءة المعرفية والأبستمولوجية أو العلمية الفلسفة والبنية كما الأجهزة والروحية. فالنمط الأول يقول إنه يعتني بضلع آخر، ويعتمد طريقة مختلفة؛ أي إنه لا يلغي القراءة المعرفية أو يتكر لقيمتها ومهارتها. ولا يقول إنه الأقدر والأوحد، أو الأول والأخر، أو الظاهر والباطن. وفي الواقع، إنّ المنهجية أو الروحية النفسية، كما التحليلية أيضاً، لا تزعم أنها مستنفدة؛ وهي لا تستغني عن الطرائق الأخرى العديدة.

إنّ الأفكار والقولات الفلسفية وتاماً كما المفاهيم والفكر والنظريات، في دنيا الفلسفة، حمالة وممثلة للفلسفة. فالتفسير الفكري لها تفسير قلنا

صياغة شذوية للمدرسة العربية في التحليل النفسي - I

1 - في مقابلة أجراها الدكتور محمد أحمد النابلسي مع الدكتور جمال التركي يقول الدكتور ج. التركي إنه يؤيد إصاق كلمتين في واحدة؛ وتكون هذه الكلمة "المنحوتة" المضمومة كقابل لمصطلح أجنبي... ففي مجلة "الثقافة النفسية المتخصصة" (مج 12، العدد 47، تموز 2001) يأتي تأكيد آخر هو إثبات لأن المدرسة العربية الراهنة، إنّ في علم النفس أم في التحليل النفسي، كانت أول من اعتمد مصطلحات من نحو: العلمنفس، التحليلنفس، النفسجيني...؛ وأشير أيضاً إلى النور والتأجيل أو الرفض لاعتماد: العلمو - نفس، التحليلو - نفس، النفسو - جنسي، العلمو - مجتمع، إلخ؛ وما زال رفضنا قائماً في وجه نحت مهجن، من نحو: المجتمع - لوجيا، النفس - لوجيا...

(...) كانت ترجمة كتاب روكين، "تاريخ علم النفس" (ط1، 1972)، قد حملت ونقلت إلى العربية الأبحاث اللفظية المذكورة... كان ذلك أول كتاب نفسي مترجم؛ وثاني كتاب يُنشر، في الجامعة اللبنانية، بعد "مذاهب علم النفس والفلسفات النفسية". كانت الجامعة اللبنانية معطاءة وتأسيسية في علم النفس، وفي التحليل النفسي، وفي الإصاقية التي ظهرت في ثنايا تلك الحالة اللغوية.

2 - يُعدّ كتاب "مذاهب علم النفس والفلسفات النفسانية" أول كتاب نفسي يصدر في الجامعة اللبنانية؛ ويُدرّس في قسم الفلسفة وقسم علم النفس (منذ العام الجامعي 1970 - 1971). وهو أول كتاب يُقدّم التحليل النفسي، بالعربية، للطالب اللبناني؛ وقدم المنشقين، ونصوصاً في ذلك المجال، وفي عدة مدارس نفسية... لقد أصدر الباحثون المدرسون في الجامعة اللبنانية الكتب الأساسية، والتي غدت مرجعية، في تفسير الحلم وفي التأويل، الإناسة والرمازة، الأسطوريات وحقول المتخيل، فلسفة التصوف النفسي النقدية والعرفانيات، الشخصية الغرارية، علم الكرامات والكليديمتات، علم السيرة الذاتية وعلم التارخة.

3 - الهجاء محبوباً أو مطهرٌ مرغوب؛ ذاك قول مأنوس مألوف. يُقال هذا التأمل في حقّ النقد والمناظرة، التشائم والتساجل، التناحر والخصام، والتهمج والتجهّم المتبادل. إنّ التشاجر، عند الفلاسفة أو بعض المفكرين، حالة نفسية علائقية. إنها حالة سوية النسوة؛ وتُشبه الغضب. إنها تؤثرُ يُحدث قلقاً؛ وينمي عدائية؛ ويرفع مستوى التأثير والتحرك بالبيولوجي أو بتغيرات جسدية، في الدم كمثل أو أعضاء أخرى. ولماذا يُحبّ القارئ التعقب والتقبّ والتقب في سيرة ذاتية لعلم، أو بطل، أو شخصية تاريخية؟ لماذا نحبّ الغوص والتسليّة في هجاء عدو أو عقبة أو حالة؛ وبالتالي لماذا نحبّ أيضاً التفرّج على قتل عدو، على تدمير عقبة أو تفجّر حالة؟

نمركز كثيراً، وبتقّة أن الوقت لإعادة النظر في دقتها وصلوحيتها، المحللون على ما سمّوه "جريمة قتل الأب". لكأنه يُنظر في قوله تقول بأننا

يتلخّص بخطاب في تكّرس وإسهامية المدرسة العربية الراهنة في: التحليل النفسي؛ علم النفس وعلم الاجتماع، الأسنية والجماليات؛ وفي الفلسفة النفسانية كما المحضانية (د. عدنان حبّ الله).

صياغة شكّية للمدرسة العربية في التحليل النفسي - II

1 - محاكمة فرويدية بموجب العقلانية أو قوانين العقل تقضى ثم تلفظ حكماً مبرماً خلاصته أنّ العقل في الفرويدية ليس المنطلق والمحرك، وأنّ الماضي ينال أهمية هي أكبر مما يولى للحاضر والمستقبل.

2 - ما كتبه أدونيس في التحليل النفسي عند العربي يتوافق كثيراً أو قليلاً مع قول عدنان حبّ الله، ومصطفى صفوان، في الحقل عينه؛ وعلى نحو قد يبدو أنه أشدّ ضراوة أو عنفاً.

تستوعب العدمانية، اللائية أو النقيابية والسلبانية، عند أدونيس، في فكر أدونيس بعمامة؛ وبخاصة في قراءته للنفس والروح والتدين في التاريخ - والمعيش راهناً - عند العربي.

3 - مبحث "الأنماط الأرخية" حقل صاغته المعايير النفسية الجسدية الحضارية، والنفسية المجتمعية كما الفكرية الحضارية، والنفسية الروحية والتدبئية. ليس هنا مبحث خاصّ بأمة أو ثقافة، بدين أو تاريخ مخصوص، بأفراد أو رزائح وقطاعات في مجتمع دون آخر.

4 - مبحث "أليات الدفاع" حقل معرفي طور المعرفة التحليلية بالقدرة والمهارات، وبالفكر والسلوك والتواصلية.

5 - من مصطلحات المدرسة العربية في التحليل النفسي والأسنية والإناسة (أنثروبولوجيا)؛ ومن المصطلحات المساعدة على تفسير المثل وفهمه ثم تأويله:

- الرّمّازة: علم الرمز. أيضاً: الرّمّيات؛ الرّمّيات.

- الحلميات: علم الحلم؛ الحلماء؛ الحلمة.

- الأسطورية: علم الأسطورة، الأسطورياء؛ الخرافيات.

- الأسطورة (بالصاد المفخّمة): الأسطورة العقيدية؛ الأسطورة، لكن بالمعنى الجديد أي ذي القيمة المعرفية الإيجابية للكلمة.

- الخيليات: علم الخيلة. إلى متكافئة البرهان والمخيال.

- الخيلة: الصورة؛ بمعنى إيماج (image). را: المتخيّل بالمعنى الراهن.

- الخرافيات: علم الخرافة. فا: علم الأسطورة.

- الأمثالية: علم الأمثال (أو علم المثل)؛ المثلّيات؛ المثلّيات.

- الأمثالية المقارنة: علم البعد الكوني للمثل. المثل من حيث هو نمط أرخي (را: اللاوعي الثقافي) معروف عند الإنسان أو في حضارته عبر الزمان المترازم المتعاقب والمكان البعيد كما القريب.

- الإناسة: علم الإنسان؛ الأنثروبولوجيا.

- النياسة: علم الناس، دراسة البشرية أو الجنس البشري.

- الأقوامية: علم الأقوام حيث يوجد العرق أو اللغة أو الأمة والأيدولوجيا.

أعلاه إته لا يُستغنى عنه؛ وهو لا يُلغى أو يُطرَد أو يُهمّس. لكنّ هذا الاحترام، والإقرار بكفاءاته وجبروته، قاعدة لا تفرض علينا أن نعتد تلخيص النظرية إلى أجزاء ومكونات كطريقة معرفية مطلقة القدرات داخل قراءة الفلسفة. فتلخيص النظرية إلى فكرة هنا وأخرى هناك، وبالتالي إلى ردّ كلّ منها إلى غيرها، عملٌ قرآني هو اختزالي وتقطيبي، تبسّطي وشيمائي، تقليصٌ أو قلعٌ للشجرة من جذورها، وجعلٌ للفلسفة غناء ورغوة وجُفاء.

8 - أسهمت المدرسة العربية في علم النفس في وضع الشروط والمحرّكات للنظرية. وهكذا فنحن نعرف أنّ النظرية الصالحة السديدة تكون متماسكة، متسقة متساوقة مع الواقع؛ تنتقد وتتجاوز المناهج غير الفالحة؛ وتقدّم نظراً صارماً في التفسير والفهم أو التصوّر والتأويل، وفي النقد والمحاكمة ثم في نقد النقد كما في نقد التقييم والتفصيلات.

وتنصّب الدراسة (القراءة، المقاربة، التحليل، التفسير...) على شذو وصقل الأليات الدفاعية، والفعاليات الفكرية، والديناميات المنتجة وأدوات التشخيص والطرح، ومشاريع التغيير والتكيف المنقح وإعادة التكيف والتعلّم الحضاري.

وهكذا فهي تتعقب وجهات النظر، ومظانّ الإبداع، وهمّ الحاجات والمقترحات داخل العقل الاستراتيجي وفي المجتمع والحضارة.

ولعلّ دراسة علوم اللاوعي، وحقول المتخيّل كما الحدسيات والإيمانيات، تبقى الأوج والأحرى.

9 - فرويد في "قتل الأب" يتكافأ مع نيته في "موت الله"، في قتل الله. إنّ فرويد نجح ربّما، وريثاً، في إخفاء آرائه المتكافئة أو المتوازنة مع آراء نيته.

دعوت إلى "قتل فرويد" مع بداية دراستي الجامعية؛ وقلت إنّ تفسيراً لآرائه وفرضياته، أو اقتراحاته وأوهامه، يكون تفسيراً سوياً دقيقاً إنّ أجريته تبعاً لتجربته الشخصية. فخطابه شخصيته؛ وما شخصيته سوى العقل المؤسّس والمكوّن لخطابه. وعيه ولاوعيه يُفسّران عالمه الفكري أو نصّه وأسروداته.

10 - الإسلام إيان ما قبل البعثة وما بعدها، مفسّراً مقروءاً طبقاً لمبادئ التحليل النفسي، قد يكون الأداة والمتاحة، المناسبة والإمكان بل والشرط أيضاً، الصالحة المساعدة على تطوير التحليل النفسي الفرويدي نفسه؛ والتحليل النفسي للأديان التوحيدية جمعاء، وليس فقط للهاجرية.

11 - ما يُعطى للأب في التحليل النفسي من أهمية أولى محورية، يُرجعه التحليل النفسي، إنّ في مدرسته العربية أمّ عند سابقين كثيرين، إلى التجربة الشخصية عند فرويد نفسه؛ وداخل العائلة السامية التي تعطي للأب سلطة جبروتية، وتقوّداً جباراً. فالأب عند الأمم الأوروبية، وفي المجتمعات الصناعوية، لا يحظى بالمكانة التي تُخصّص له عند الساميين.. تنبّهت، باكراً، المدرسة العربية في التحليل النفسي، إلى هذه "المقولة" عند فرويد الذي، وكما مرّ، يجعل من هوماته ومشكلاته، ومن تجاربه وطفولته، أساساً وأعمدة في خطاب التحليل النفسي.

12 - المعلّم الدكتور زيعور زميلٌ مؤسّس؛ وبادئٌ شرع منذ أول الستينيات بالكتابة في التحليل النفسي، والصحة العقلية والعلاجيّات.

اعتنى باكراً بالتحليل النفسي للحلم؛ وبالرمّازة، والأسطوريات كما الحكايا الشعبية وسائر قطاعات الإناسة؛ وباللاوعي والمتخيّل، وبالبلاتيات والتأويلانية، والغوريات، والأنا الأعلى والذات المثالية.

6 - أكبر غلطة أوقعوني بها، وبعد ذلك التزمت الصمت والرّضى الظاهر تجاهها، كانت الموافقة على إرجاء إعداد "كشاف المصطلحات والكلمات التقنية" لكل كتاب رأى النور عبّر ما لا يقل عن خمسين عاماً جامعياً.

وتطاردني الغلطة - الكبوّة الأخرى المائلة في أيّ كنتُ أرفض الطباعة المعادة لطوابق (مداميك، حلقات، أجزاء) "موسعة التحليل النفسي للذات...". فمع الركض في العُمر كانت تتخفّض الشروط والإمكانات لأن تُعيد الجامعة، أو مؤسسة ما، النشر؛ أو الرعاية، أو الاهتمام.

7 - يلتقط المهتمّ بالإبحار في خصمّ الشّعْر العربي، بطباقيته الغورية وبامتداده الأفقي أو سينداديته، شخصيات تهتمّ بتدبّر ومعايشة الشّعْر الهجائي التدميري وما يحويه من عنف وتشدّد.

يصلح وينفع أن تُحلّ حالة، أو تجربة شخص يُقرح ويجد متعة في التعاطي والتساكن مع الهجاء. هذا الهجاء محبوب؛ إته ليس منقراً بقدر ما هو قد يُبهر البهجة والارتياح، ويمزج الساديّ مع المازوخي، والموت مع الحب.

8 - توضع على أريكة التحليل النفسي، في مدرسته العربية النقدية، حالة العزوبية عند الفارابي، والفلاسفة والمفكرين العرب المسلمين. تلك حالة نفسية عاتلية (أو نفسية مدنيّة) قد لا يهتمّ باللبث عندها، أو لفهمها وتحليلها، المؤرّخ العامّ للفكر، أو للفلسفة والكتاب والأعلام... وقد يتجاوزها المعاصرون الذين ينفرون وينفرون من القول بصيلة ما، مهمة أو فعالة أو مجزية، بين صاحب النصّ والنصّ نفسه.

9 - روحية القوانين، والساتير، هي الأخرى بالنظر والإدراك. ومهما بدت النصوص صالحة في ظاهرها، فإنّ الأصلح والأفصح هو روح الشرائع؛ والنوايا الفاضلة داخل الدستور هي التي تكشف أو تُجسد النقاوة والطيبة، الأرقى والأكثر نبالة.

10 - "الله والأب" مقولة نفعت إذ هي سهّلت التفسير. لكنّها اختزلت؛ وقفزت فوق الفروق، وتغافلت وغفلت البُعد والاختلاف والتعقد الثقافي والطبيعي واللاهوتي. في عبارة دميّة، لم تخفت قيمة تلك المقولة - الأسطورة؛ ربما يخفّ توهجها حين لهوتتها، وحين الإفراط في اعتمادها كأداة جبروتية، كتأبّت خالدٍ أو ماهيوي، وكجوهر بمنتهى اليقينيّة أو لا بُدّيّ وأبديّ.

11 - فسرّ الجزء الأول من مشروع المدرسة العربية في التحليل النفسي (الإناسي، والأسني)، عادات وأعراف أو تقاليد حمة؛ من نحو: التبركّ بحدوة الحصان؛ وضع النعل على السيارة، أو في الرقبة، أو على الزهرة البيئية دفعا للحسد وصيبة العين؛ الرقوة؛ طاسة الرعية؛ عقد لسان الوأش (الوحش)؛ تعليق الخرز كما الودع؛ حملّ الحجاب كما مفتاح ذهبي صغير...؛ وضع بيضة مفرّعة مطليّة بالنيل (اللون الأزرق)...

12 - نظام التعليم الذي يحشو الذاكرة حولها إلى "أجهزة حيّة" تتلقى وتحفظ، أو تتخلّق وترجع الصوت وتكون صدى له. ظاهرة الصّدويّة (= الأصدائية) تعبيرٌ عن حالة نفسية غير سوية فحوها إصابة الصابر بالإرجاع الآلي لما يسمع أو يُلقى عليه.

13 - تارة المتوقّدة بفهم ما للعبريّة، وللأبطال في الفكر والفلسفة، توصّل إلى فهم عراقي أو عُصراني لتاريخ الفكر وتاريخ الفلسفة. إن تاريخه يقوم بها بعض الأوروبيين لتاريخ النظريات الفلسفية، ولأعلام الفلسفة، قد أدت بالضرورة، وعلى نحو حتمي جاهز مسبق، إلى اعتبار الفلسفة وصياغة النظريات الفكرية الباسقة ميزة خاصة بقارة، وبأمم أوروبية، وبأعراق أو لغات معيّنة محصورة وحصريّة... ذلك كله مثيّرٌ غير دقيق، ممجوج منقّر، ومُعادٍ للعلم والعقل والخير؛ إته غير فلسفي؛ بل وطرد الحكمة من بيتها، والسيّف من غمده، والشجرة من ترابها.

14 - تميل المدرسة العربية في الفلسفة، باتجاه الإدراك داخل متصارعة أو متكافئة واحدة، نحو ميلين أو طرفين هما: تفسير الفلسفي بالعوامل الموضوعية كالصراعات السياسية والاقتصادية، أو كالتشروط والبيئة والحقل الحضاري والمشكلات العملية؛ وتفسيره بالعوامل والمشكلات النظرية، وبالاحتاجات الحضارية أو الدوافع النفسية الثانوية.

15 - يكون خطاب الصحة النفسية الحضارية معيّناً، أو موجّهاً إلى الأنا والأنثى ضمن حقل النحناوية؛ وعلى صعيد المجتمع والفكر والموقع العالمي، العلائقية والمدنيّات والقيميّات.

16 - يرفض الحرّقاني التفسير القرآنيّ الصوفيّ. وقد يقال إته عرفاني؛ أو من الأعمال التأسيسية للفكر العرفاني، وتكريس مجاله وخصوصياته المعرفية أو استقلاليته حيال الفقهيّات، والفكر العام، أو حيال الفلسفة، وعلم الكلام، والأدبيين. إته، من حيث التحليل المعرفي، تفسير استنباطي؛ فليس عنده أدلة، ولا هو معرفة حسية، أو عقلية. فالمعرفة المقدّمة نابعة من ذات المفسّر؛ أو هي معرفة من نوع خاصّ، ولها مجالها وقولها أو "طرائقها" ومصطلحاتها ومرجعيتها. إن التفسير الذي ندرس هنا عائد إلى نظرية في المعرفة مستقلة، ولها اختلافاتها ومشكلاتها تجاه النظريات الأخرى في المعرفة (النظرية الحسية، النظرية العقلية، النظرية العقلية النقدية).

17 - قال الزميل محمد رضوان، أستاذ علم الاجتماع ثم فلسفة عصر النهضة (عده؛ والسيد رشيد رضا، خاصة)، عندنا، في الجامعة اللبنانية، شبيهة ومتممّ يواصل ويكمل عمل مصطفى زيور في الجامعات المصرية. وعندنا أول مُحبٍ وواثق يعمل مصطفى الثاني، مصطفى صفوان.

18 - فسرّ الجزء الأول من مشروع المدرسة العربية في التحليل النفسي (الإناسي، والأسني)، عادات وأعراف أو تقاليد حمة؛ من نحو: التبركّ بحدوة الحصان؛ وضع النعل على السيارة، أو في الرقبة، أو على الزهرة البيئية دفعا للحسد وصيبة العين؛ الرقوة؛ طاسة الرعية؛ عقد لسان الوأش (الوحش)؛ تعليق الخرز كما الودع؛ حملّ الحجاب كما مفتاح ذهبي صغير...؛ وضع بيضة مفرّعة مطليّة بالنيل (اللون الأزرق)...

19 - نظام التعليم الذي يحشو الذاكرة حولها إلى "أجهزة حيّة" تتلقى وتحفظ، أو تتخلّق وترجع الصوت وتكون صدى له. ظاهرة الصّدويّة (= الأصدائية) تعبيرٌ عن حالة نفسية غير سوية فحوها إصابة الصابر بالإرجاع الآلي لما يسمع أو يُلقى عليه.

20 - علم الولد أقلّ كيما يكتسب بنفسه الأكثر.

21 - تعليم لا يعلم الطفل التخيّل تعلّم لا يفتح على الإبداع، وعلى إعادة الإدراك، وعلى محاكاة التعلم وإطالة النظر فيه.

22 - علم الولد أقلّ كيما يكتسب بنفسه الأكثر.

23 - تعليم لا يعلم الطفل التخيّل تعلّم لا يفتح على الإبداع، وعلى إعادة الإدراك، وعلى محاكاة التعلم وإطالة النظر فيه.

24 - تعليم لا يعلم الطفل التخيّل تعلّم لا يفتح على الإبداع، وعلى إعادة الإدراك، وعلى محاكاة التعلم وإطالة النظر فيه.

25 - تعليم لا يعلم الطفل التخيّل تعلّم لا يفتح على الإبداع، وعلى إعادة الإدراك، وعلى محاكاة التعلم وإطالة النظر فيه.

إنّ التأسس على **الداروينية المطوّرة الراهنة**، أي البعيدة عن طموح الرغبة بتفسير الاجتماعي والأخلاقي كما اللاوعي والنفسي، فكرة ناجحة. فهي نظرية صالحة لأن تكون المثكأ والسندية في إعادة إدراك وضبط الفلسفة، علوم النفس، علم المجتمع، المباحث في الحياة المجتمعية وفي الحياة النفسية، الإناسة، الألسنية...

5 - يتدرّب الطلاب، في قسم الدراسات العليا، على **تحليل الخطاب**. تُوزّع الحقول؛ ثم يُدلي الطالب بتحليل **خطاب الأمركة الراهن وما بعده** أو **مستقبله**. وما يقوله **التحليل النفسي** ليس يكون غريباً بعيداً عن قول الفيلسوف أو عالم الاجتماع، العالم النفسي أو المؤرّخ، المفكر أو الملتزم، الصحافي أو المثقف... ذلك ما يحصل في صدد تفسير كل من: الخطاب الصنّاعوي، الاستعماري الراهن وما بعد إزاحة الاستعماري القديم، خطاب العولمة أو الأوربية، خطاب المجتمع العالمي الجديد، الخطاب الاستغلالي للقيم الكونية، خطاب الرأسمالية الراهنة في التاريخ والعدل الاجتماعي.

(...) يتدرّب الطالب، ولا سيما بعد أن يكتشف بنفسه الظلم والعنف والاستغلال، على أن يرى الوجهين معاً للدولة الأوروبية، والمعنيين المختلفين يُعطيان للقيمة الواحدة. فالمستعمر الذي يقدّم نفسه بمثابة بطل روحه الحرة والمساواة والثوراتية هو في وطنه وبين قومه مختلف تماماً عن ممارساته وتعاملياته مع المستعمر؛ مع المستضعف. هذه الشطرنجة للخطاب شطرنجة للشخصية والسلوك: نقول بالمساواة ونمارسها هنا؛ ولا نقول بها ولا نمارسها في بلد مستغل متخلف وفي عوز وتعثر. إنّ الفصام الذي نراه اليوم في نفوسنا قد لا يرى ولا يعترف به الرأسمالي المستغل أو المستعمر الذي لا يُنسى دوره وقوله.

6 - لا يصلح احتجاج على المحلل النفسي المهتم، ضمن حقول فعالياته المخصوصة به، بالتربويات وعلم التعلم وعلم نفس الولد (الطفل) داخل التجربة العربية الإسلامية، والمعاصرة، في ذلك الميدان النافع التنموي. لكنّ الاحتجاج هنا مدفوع مسبقاً بعوامل غير قريبة من العلمي؛ ومما هو موضوعي النزعة والرؤية؛ ولكأنته رغبة بسجن الفكر، وتضييق أفق التفكير التفسيري المحلل النفسي، بحسب المدرسة العربية، فيلسوفاً والسني، اختصاصي في الإناسة وعلوم المجتمع والتاريخ.

7 - **رموز اليتيم لغة**: يُعدّ الولد اليتيم رمزاً لفقدان الحماية والاطمئنان، وللحياة الخالية من أبٍ عادل حنون ورئيس للأسرة. والطفل اليتيم، في الوجه الآخر للظاهرة النفسية الاجتماعية، رمزاً أيضاً للنجاح المتعيب؛ وللصلاية والمهارة في الدفاع عن الذات؛ وللتنشئة العصامية والشخصية المكافحة المماثلة.

طوّرت ظاهرة اليتيم، عبر التاريخ العربي والإسلامي، وفي تاريخ العقل المدني، مبادئ الرعاية باليتيم، الشفقة والمودة، وجوب كفالته، إحاطته بتقدير وتعاطف معه.

اليتيم، لغة أو بحسب التفسير اللغوي، هو الميت. فمن الجذر (ي ت م) أو (و ت م) صدرت الكلمة موت التي هي متولدة بتغيير في حروف الجذر عينه. ومن هنا، ربما، جاءت مدلولات اليتيم بأنه الضعيف، القاصر، البطيء، المهموم اللطيم والعجّي (= فاقد الأبوين؛ فاقد الأم).

أخيراً، وفي جميع الأحوال، يبقى سليماً أنّ الشيء اليتيم، القصيدة كمثل، هو ما لا نظير له.

ولا أزعم أننا سنكون بعيدين عن التحليل الدقيق إن درسنا ذلك التفسير دراستنا **ظاهرة أدبية، أو إبداعية، أو فنية... فهو، بلا شك، رمزي وغير قاصد إلى تبيان حقيقة خارجية، أو تقديم شواهد وحجج على وجودها وتأثيرها.**

17 - ما يصل إليه باحث في العقل العربي، أو الإسلامي، أو العرّسلامي، لا يختلف عما قد يصل إليه محلّ نفسي... إنّ ما صاغته المحللة النفسية **رجاء بن سلامة، كشاهد، صاغه أيضاً، لكن قادماً من طريقة أخرى، محمد أركون.**

18 - **الصحة النفسية الروحية للعربي، وللمسلم بعامة، قسمان:** يتخصّص الأول بالإنسان والجماعة والعلائقية، أي بتلك الصحة ونوعها وانجرحاتها، وبمستوياتها وطرائق التكيف والعلاج داخل الوطن المحلي. أمّا القسم الثاني فينكّس للفحص والعلاج (= المعابنة) للصابر (المهاجر، المندمج في ثقافة ثانية) المقيم القاطن في المهجر أو المنفي، في مجتمع أوروبي، في مجتمع صنّاعوي، في مجتمع مختلف حضارة ولغة، قيماً وسلوكات وأيديولوجيات

صياغة شكّية للمدرسة العربية في التحليل النفسي - III

1 - نصرت المدرسة العربية في التحليل النفسي ترجمة عبد المنعم الحفني، عن الألمانية، لكتاب فرويد في تفسير الأحلام. ذلك لأنها ترجمة أخرى، وترجمة عن الأصل مباشرة، وترجمة سبق أن قيل فيها إنّها اجتنبت الوقوع في حوالي ثلاثين "شغلة" أو موضع انقذت فيه ترجمة **مصطفى صفوان**... كم هو مطلوب أن توضع لكل كتاب مترجم إلى العربية ترجمة جديدة منقحة موضحة. والأهم؟ الأهم هو أنّ صفوان تنازل عن حقوقه لمصلحة **عدنان حبّ الله**؛ وأصدر هذا الأخير نشرة جديدة باسمه لكتاب فرويد. وسبق أن تنبّه عديدون إلى استغلال "تجاري" لغير كتاب واحد من كتب صفوان المترجمة، وبغير موافقته أو معرفة منه، وبالرغم من استنكار حبّ الله للأمر أو من كون ذلك الفعل مسيئاً لأستاذ الجميع في التحليل النفسي عند العرب.

2 - قال زميلي، وهو مؤسس في مشروع الإنسانيات المؤسنة داخل الذات العربية، إنّ **عدنان حبّ الله** في لبنان، والجامعات اللبنانية، هو عينه مصطفى زيور (زيوار، بحسب ما كتب الزميل) في مصر، والجامعات المصرية.

3 - قد يكون القادم من حقل معرفي مختلف مغاير، إلى حقل آخر، قديراً جداً على التغيير؛ أو على اكتشاف النقائص واللاسوي، الفاسد وغير المنطقي، الواجب نزعه أو استيعابه... والداخل إلى غرفة مسكونة قد يلتقط فوراً أنّ هواءها فاسد؛ أو أنّ ساكنيها واقعون في خطأ أو عيب أو عطوبية. فمن هو في الخطيئة، أو في فضيلة، ليس هو الأقدر على اكتشافها في نفسه وسلوكاته... وأحياناً جمّة قد يكون الأخر أسرع ممّا في معرفة ذاتنا واكتشاف خفاياها وطواياها.

4 - ربّما يلوح من بعيد تقدّم من نوع ما للنظرية العربية في **محدودية التطور البيولوجي الاجتماعي** على النظرية المفسرة باللاوعي وحده - ودون غيره - لمقولات الجنس والتكاثر، الدفاع عن النفس، أو البات التكيف وقوانين النشوء والبقاء أو الاستمرار، الكوابيس والأحلام، طفولة النوع بالمقارنة مع طفولة الفرد.